

واحدًا تنصهر فيه كل الشؤون. تعرض كافكا كراميو ونيتشه، وغيرهما من المرجحيات الكبرى، لقراءات تأويلية وأيدولوجية عديدة. من أقصى اليمين الصهيوني (لصديقه ماكس برود. حافظ مخطوطاته ومحرره بعضها. وفق بعض اتهامات كتاب سيرته. دوراً في صهيئة بعض نصوصه) حتى أقصى اليسار الإباحي. جاعلين منه تارة مبشراً بارض الميعاد. وطوراً تاراً ضد كل أشكال التسلط القديمة والحديثة. وما من شك أنه كان يتقصد ترك باب

كشكول الشهر صار فرانز كافكا (1883 - 1924) مرجعية عالمية لا تحتاج ان نقرأها، فهي متحدث عن أجواء كفاوية، إلى واصف لبعض الأحكام بالحاكمة الكفاوية، فمتأصفي من البيروقراطية الكفاوية. صار الكفاوي - كحالة - عابراً الحيوانية والجمية. لكن قراءة نص كافكا شيء آخر: اكتشاف لذات كانت تكتب بصعوبة وشقاء باليئيب. رغم الدربة اليومية، في مسار جعل الكتابة والحياة مساقاً



فرانز كافكا: صمت الحوريات

[نثيرات، أقاصيص، يوميات وتوقعات]

لم يسمع صمتهن؛ ظن أنهن كن يغنين وأنه كان لوحده مصنوعاً من سماعهن؛ نظر أولاً بشروء إلى تموج رقابهن، إلى نفسهن العميق، إلى عيونهن المترعة بالدمع، إلى أفواههن الفاعرة، لكنه ظن أن كل هذا كان جزءاً من الألحان التي كانت تضيع من حوله. لكن، عما قليل، سبتخر كل شيء أمام نظرتة الشاخصة للبعيد؛ اختفت الحوريات تماماً أمام ثباته، وبالضبط عندما كان الأقرب منهن، تيسر له أن يتجاهل وجودهن.

لكنهن، في جمالهن الذي فاق كل حد ساعدتك، تمططن، حُمن حول أنفسهن، تركن شعرهن الرهيب يتموج بحرية في الريح، وتراخت مخالبنهن على الصخر. لم تعد لهن رغبة في الإغواء، كن فقط يرغبن في إبقاء بريق عيني عوليس الكبيرتين طائراً في الهواء لأطول وقت ممكن. لو وعيت الحوريات بما كن يفعلن لاندثرن. ولكنهن، بما كن يفعلنه، بقين؛ وحده عوليس أفلت منهن.

فضلاً عن ذلك، تروي الحكايات المتناقلة تكملة لهذه الرواية. يحكى أن عوليس كان خصباً بالحيل، بحيث أن إلهة الأقدار، بجلال قدرها، لا تستطيع قراءة أفكاره. من الممكن أيضاً. رغم أن الذكاء البشري عاجز عن إدراك الأمر. أن عوليس لاحظ حقاً أن الحوريات كن صامتات وأنه لم يُد متصنعاً، وفق الوصف الأنف، إلا لكي يواجههم، حوريات وآلهة، بما يشابه درعا.

رسك وهلوك

كانوا أمام خيارين: أن يكونوا ملوكاً أو رسل الملوك. وكالأطفال الحقيقيين أحبوا، جميعهم، أن يكونوا رسلاً. لذلك لم يعد ثمة إلا رسل يجولون بخيولهم في بقاع العالم. وبما أنه لم يعد ثمة ملوك، تجدهم يتصايحون فيما بينهم رسائل بلا معنى. وفي أحيان كثيرة تراودهم الرغبة في وضع حد لحياتهم البئيسة، إلا أنهم لا يجروون على الأمر بسبب قسمهم بالولاء.

المحامي الجديد

لنا محام جديد، الأستاذ بوسفألوش. لا يشي شيء من مظهره الخارجي بما كان عليه يوم كان فرس كزاً أضطفاً الإسكندر المقدوني. لكنه يثير انتباه أي شخص قوي الملاحظة. حتى أني رأيت، ذاك اليوم، محضراً قضائياً بسيطاً يتتبع المحامي باندهاش، بنظرة متعاط لسباقات الخيول، وهو يرفع ساقيه عالياً، مع وقع الرخام تحت أقدامه، أثناء صعوده أدراج سلم قصر المحكمة واحداً بعد الآخر.

هيئة المحاماة راضية، عموماً، على قبول بوسفألوش بين متعالمليها. وبتفهم مدهش، يقال بان له وضعاً صعباً، في ظل النظام الحالي

بالأحرى، يمكن أن تجدي في الخلاص: كي يصون نفسه من الحوريات، سد عوليس أذنيه بالشمع وقيدته رفاقه لصارية. كان بإمكان جميع المسافرين، منذ زمن طويل - باستثناء أولئك الذين تجذبهم الحوريات من بعيد - أن يفعلوا نفس الشيء، لكن العالم بأسره كان يدرك أن ذلك لم يكن ليحدي في شيء. كان صوت الحوريات يخترق كل شيء، كما كان لشغف البشر المفتونين أن يحطم أشياء أكثر متانة من القيود وصارية. ورغم أن الأمر تناهى ربما إلى مسامع عوليس، فإنه لم يفكر فيه. كان يعول، بالمطلق، على كمشة الشمع وحلقات القيود، وفي غمرة الفرخ البريء الذي تمنحه إياه حيله الصغيرة، تقدم نحو الحوريات.

بيد أن للحوريات سلاحاً رهيباً أكثر من غنائهن، ينجلي في صمتهن. يمكن تصور - ولو أن ذلك لم يحدث - أن ثمة من أفلت من غنائهن، ولكن ليس من صمتهن قطعاً. لا شيء على الأرض يمكنه أن يقاوم الإحساس بهزيمته إثر استعمال القوة الشخصية ولا الزهو اللفظ الذي ينتج عنه. وفعلاً، عندما وصل عوليس، كفت الحوريات النافذات عن الغناء، إما لظنهن أن الصمت وحده يمكن أن يسقط في أحابلهن خصماً مثله، وإما لأن رؤيتهن للبشاشة ترتسم على وجه عوليس أنستهن كل أغانيهن.

لكن عوليس - إن شئنا أن نعبر بالشكل التالي -

عربة

كانت ثمة عربة مزارعين تُقل ثلاثة رجال صاعدة من أحد السواحل ببطء في العتمة. توجه نحوهم رابع لا يعرفونه وناداهم. بعد تبادل قصير للحديث، تبين أنه طلب منهم إن كان بالإمكان أن يحملوه معهم. أعدوا له مكاناً وساعدوه في الصعود. وعندما واصلت العربة طريقها، سألوهم: «أتيت من الوجهة المقابلة، وتعود إليها؟» - «أي نعم، قال. كنت، في البداية، ذاهباً في نفس وجهتكم، ولكن فيما عدت على أعقابي، كان الليل قد خيم أسرع مما كنت أتوقع.»

II. أقاصيص

الحوريات

هي ذي أصوات الليل الفاتنة، مثلما كانت تغني الحوريات، ولربما كان من الغبن اتهامهن بالغواية، فهن يدركن أن لهن مخالب، ولكن دونما فرج، لذا فاصواتهن شجن بصوت يسمو فوق هذا الغبن. فهل يكون ذنبهن، يا ترى، أن يكون الشجن بصوت شجي؟

صمت الحوريات

كدليل على أن وسائل غير كافية، سخيصة

لرجمة وتقديم رشيد وحتي رسومات وملحونات رشو كاردو*

1. نظرة (نثيرات)

فساتين

في أحيان كثيرة، عندما أرى فساتين مزدانة بطيات، كشكشات وهذب من جميع الأصناف، جيدة الالتصاق بأجساد جميلة، أفكر بأنها لن تبقى كذلك لمدة طويلة؛ ستكون بها ثنيات لا يمكن صقلها بالمكواة، سيعشش الغبار في أعماق الزركشات ولن يُنقّض منها أبداً، ولن يملك أحداً حزن أو سخافة لبس ذلك الفستان البديع الثمين كل صباح، لكي لا يتجرد منها إلا مساءً. رغم ذلك، ثمة بعض من تلك الفتيات الصغيرات - فتيات ذوات قدود رشيقة، كواجل رقيقة، إهاب مشدود بنعومة، بأمواج من الشعر الدقيق الخفيف - يلبسن يوماً ذاك الزي التنكري الأبدى، يضعن نفس الوجه كل يوم في تجويفة نفس اليد ويتاملنه في نفس المرأة. أحياناً فقط، في المساء، مع دخولهن متأخرات من حفلة ما، يكتشفن في مرآتهن وجهاً متاكلاً، منتفخاً، مغبراً، وجهاً نظر إليه بإسفار، وجهاً بالكاد يستطيعن حملته وتحمله.

الأشجار

شبيهون نحن بجذوع أشجار منغرسة في الثلج، كأنها، بكل بساطة، موضوعة فوق سطح الأرض، بحيث يمكننا دفعها بنقرة إصبع، لا، هذا غير ممكن، لأنها مشدودة بمتانة للأرض. لكن، انظر جيداً: حتى هذا ليس إلا مظهراً خداعاً.

أه لو نكون هنوداً حمراً

أه لو نكون هنوداً حمراً، مخضبي الوجوه والأجساد دوماً، ممتطين أحصنة حرونة، على قائمتيها الخلفية، مرتجة بلا كلل على الأرض المرتجة، إلى أن نترك المهماز - لأن لا مهامن ساعتناك - وترخي الاعنة لأن لا اعنة ساعتناك - إلى أن نرى الأرضية أمامنا كبراح بوار، بلا رقبة حصان ولا رأسه.

القرية الأقرب

كان جدي يحب أن يقول: «يا للغرابية، يا لقص الحياة. إنها، الآن، تتكثف في ذكرياتي إلى درجة لم أعد معها قادراً بالتقريب على فهم كيف أن شخصاً فتياً، مثلاً، يستطيع أخذ القرار بالذهاب إلى القرية الأقرب ممتطياً حصاناً، دون أن تتولد في داخله الهواجس - خارج أية صدفه تعيسة - بان زمن حياة عادية، تتخللها أحداث سعيدة، لا يكفي، ومن بعيد، لركضة كتلك.»

